التنافس على دول الجنوب العالمي: هل يدفع إلى الفوضى؟

ليلى نقولا
استاذة العلاقات الدولية

كان لافتاً هذا العام إعطاء مؤتمر ميونيخ السنوي حول الأمن أهمية كبرى لدول الجنوب العالمي، معتبراً أنّها ساحة صراع عالمي بين الدول الكبرى. وقد أفرد لها حيّزاً موازياً لكلٍّ من حرب أوكرانيا وضرورة مواجهة الصين وروسيا.
كعادته، كان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الأكثر صراحة، لكنه كان الأكثر تشاؤماً أيضاً، حين قال إن "الغرب خسر ثقة الجنوب العالمي، ولم يفعل ما يكفي للرد على تهمة المعايير المزدوجة، وخصوصاً خلال فترة انتشار وباء كورونا، إذ لم يفعل الغرب الكثير لمساعدة تلك الدول ومدّها باللقاحات".
وذكر التّقرير النهائي لمؤتمر ميونيخ أنّ "العديد من البلدان في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية فقد الثقة بشرعية وعدالة النظام الدولي الذي لم يمنحها صوتاً مناسباً في الشؤون العالمية، ولم يعالج مخاوفها الأساسية بشكل كافٍ"، وأضاف: "تعتبر دول الجنوب أن النظام الذي يقوده الغرب يتسم بالهيمنة بعد الاستعمار وازدواجية المعايير وإهمال مخاوف الدول النامية". وبناءً عليه، وبالاستناد إلى ما كشفه مؤتمر ميونيخ والتطورات التي حصلت منذ الحرب الأوكرانية ولغاية اليوم، نجد ما يلي:
- الغرب يقاتل لاستدامة "نظام هيمنة" يخدمه: لطالما ردَّد العديد من قادة الدول الغربية أنَّ الهدف من عقوباتهم على روسيا هو وجوب امتثالها للنظام الدولي "القائم على القواعد". وفي هذا الإطار، كان لافتاً أنّ ٥٠٪ أو أكثر من المستجيبين في جميع البلدان التي شملها استطلاع مؤشر ميونخ للأمن ٢٠٢٣ يرون أن ثمة حاجة إلى قواعد دولية تنطبق على جميع دول العالم على قدم المساواة. وقد كانت هذه النظرة أقوى بين المستجيبين من عدد من دول الجنوب العالمي، مثل الصين (٦٣٪)، والهند (٦١٪)، وجنوب أفريقيا (٦١٪)، والبرازيل (٥٧٪)، ما يعني أنَّ المطالبة الدائمة للغرب بالمحافظة على "النظام القائم على القواعد" هي مجرد وصفة لاستدامة نظام الهيمنة الليبرالي الذي لم يعد يرضي العديد من دول العالم وشعوبها، وبات بحاجة إلى إعادة صياغة شاملة للقواعد التي لا تأتي إلا لمصلحة الغرب وشعوبه.
- الغرب يهدف إلى إدامة استغلاله دول الجنوب: اشتكى الكثير من المتحدّثين الغربيين، وكذلك التقرير النهائي لمؤتمر ميونيخ، أن "الدول المؤثرة، مثل الهند أو تركيا أو السعودية، باتت تسترشد بمنطق أكثر براغماتية، سواء في ردودها على الحرب في أوكرانيا أو في مواقفها من المنافسة الدولية الواسعة حول النظام الدولي". ودعا التقرير "الولايات المتحدة وأوروبا إلى إعادة التفكير في مقاربتهما للتعاون الإنمائي مع دول جنوب الكرة الأرضية، عبر تقديم نماذج تنموية أكثر جاذبية للمنافسة مع الصين التي تقدم نموذجاً بديلاً يعتمد على التضامن والمنفعة المتبادلة".
عملياً وواقعياً، لا يمكن أن يتنكّر الغرب لفكرة أن سياساته، سواء الاستعمارية أو ما بعدها، كانت السبب في غرق دول الجنوب في التخلف وعدم تحقيق التنمية. لقد جعل هيكل النظام العالمي السائد وقواعده التنمية غير ممكنة في ظل تقسيم يجعل الدول الغنية تحتكر لنفسها الصناعات المتقدمة ولا تسمح بوجودها خارج دائرة نفوذها.
وكان المفكّر بول باران قد اعتبر أنه بعكس الادعاءات الغربية التي تعيد التخلف في دول الجنوب إلى أنماط الإنتاج ما قبل الرأسمالية، فإن هذا التخلف المزمن الذي تعيشه تلك الدول هو نتيجة الرأسمالية نفسها، إضافةً إلى أنّ الاستعمار خلق مجموعة من الخصائص المشتركة في البلدان المتخلفة، وأن العلاقة البنيوية بين هذه الخصائص أدت إلى إعاقة التطور الرأسمالي والتنمية.
وفي رأيه، من أهمّ هذه الخصائص:
١- وجود قطاع زراعي كبير وشديد التخلّف يهيمن عليه الإنتاج الفلاحي الصغير وتعيش على أساسه طبقة من ملّاك الأراضي.
٢- وجود قطاع صناعي صغير ومتقدّم نسبياً ينتج لسوق محلي محدود وعدد من المشروعات المنتجة للتصدير تكون عادة مملوكة لرأس المال الأجنبي.
٣- وجود قطاع تجاري واسع تتحكّم من خلاله الرأسمالية التجارية في التجارة الخارجية، ويرتبط عضوياً برأس المال الأجنبي.
وهكذا، نجد أنَّ الغرب يتجه إلى فتح سباق جديد عنوانه "التنمية لكسب النفوذ"، وذلك في ساحات جديدة للتنافس مع الصين وروسيا، مسرحها هذه المرة دول الجنوب العالمي. هذا السباق يعني أن التدخلات والتدخلات المضادة ستزداد في دول الجنوب، ويُخشى معها أن تكون مسرحاً لانقلابات أو ثورات شعبية تحاول إطاحة الحكام الحاليين، لكون هذه الطريقة الأسهل والأكثر فعالية لقلب موازين القوى لمصلحة طرف ما. لكن ماذا لو أدّت التدخلات والتدخلات المضادة إلى فوضى عارمة في دول الجنوب التي تعاني أزمات معيشية واقتصادية سابقة، أضيفت إليها التحديات الاقتصادية التي فرضتها الحرب الأوكرانية؟ حينها، سيكون العالم أمام موجات بؤس وتخلف وجوع جديدة، وسيكون النظام الدولي الجديد قد قام على أرواح الفقراء في دول الجنوب العالمي.

جعل هيكل النظام العالمي السائد وقواعده التنمية غير ممكنة، في ظل تقسيم يجعل الدول الغنية تحتكر لنفسها الصناعات المتقدمة، ولا تسمح بوجودها خارج دائرة نفوذها

الزيارة لأسباب إنسانية!

رشاد ابوشاور
كاتب ومحلل سياسي

"عجبي.. وكمان عجبي"!
هل توافدتم إلى دمشق لأسباب إنسانيّة!
وهل معنى ذلك أن تدمير أعرق أحياء المدن السورية لم يُحرّك نوازعكم الإنسانية؟!
هل أحد عشر عاماً من الدمار، والتهجير والتشريد.. لم تلامس شغاف قلوبكم، ولم تُحرّك مشاعركم الإنسانية التي ظلت طيلة سنوات قتل السوريين، العرب الأقحاح، متبلدة، فلم ترفعوا أصواتكم مستنكرين لاستئجار ألوف ألوف المرتزقة، وزجهم في سوريا لتدمير مدن، تعد في مقدمة أعرق المدن في العالم.
لأسباب إنسانية تزورون دمشق قلب العروبة النابض، بعد أن هدّم الزلزال أعرق أحياء حلب، واللاذقيّة، وحماه، وعشرات القرى العريقة، وغطّى أجساد ألوف السوريين تحت الدمار، فاندفع الأحياء من السوريين لإنقاذ أحبتهم، وذويهم، بالنبش بأظافرهم، ودفعت أجهزة الدولة السورية بما تبقّى لديها من آلات ثقيلة هي كل ما أبقاه الحصار الأميركي الذي توّج جرائمه في سوريا بقانون قيصر الذي تفرضه أميركا بقرار أُحادي إجرامي لا صلة لمجلس الأمن به، ولا لأي جهة دولية. ولكنه حقد أميركا والكيان الصهيوني، وتآمر بعض العرب تطوّعاً وتصفية لحسابات مفضوحة من مطبّعين موتورين، ومنتمين لمصالحهم الضيقة، وحاقدين على سوريا العروبة التي ما زالت متشبثة براية فلسطين، وبرفض الهيمنة الأميركية والعربدة الصهيونية، وبالتواطؤ التركي الذي طاش صوابه بعد فشل وعود الربيع العربي (الإسلاموي) الذي فتح البطن التركي لابتلاع المشرق والمغرب العربي لتكريس تبعيته من جديد للباب العالي!
هل كان يجب أن يموت ستة آلاف سوري دفعة واحدة، وينتشر الدمار في ربوع سوريا حتى تتحرّكوا متأخرين جداً، ومتثاقلين جداً.. وأنتم تتلفّتون حواليكم مرتعبين من أن يحاسبكم أولياء أموركم على فعلتكم بـ.. زيارة سوريا رغم ١١ سنة من القتل والدمار والخراب و.. الرهان المسعور على إنهاء سوريا حضوراً ودوراً وجغرافيا وتاريخاً، وأملاً بنهوض عربي يتهدد المخططات الأميركية الصهيونية؟
ولكن سوريا أمل العروبة وقلبها، ثبتت واستعادت ما احتلته قوى التحالف الدولي بقيادة أميركا، وطارد جيشها الباسل الأعداء وكنسهم ممّا اضطر أميركا أن تتدخّل بنفسها، وتحتل شمال شرقي سوريا، وتضع يدها على ثروات سوريا من النفط والغاز والقمح.. وترعى العملاء الغادرين بالوطن السوري ليبقوا خنجر غدر.. يا للعار!
كان بإمكانكم أن تعلنوا أنكم تقفون مع سوريا وشعبها العربي العريق، وأنكم ترفضون حصار سوريا، وترفعون الصوت بأن قيصر ليس قراراً دولياً ولذا ترفضونه، وتعلنون إدانته.. ولكنكم لم تفعلوا ولن تفعلوا، وشعب سوريا يعرف، ولذا لم يبنِ آمالاً على زيارتكم التي لم تحمل بشائر أخوّة ونجدة حقيقية تفرّج كربة سوريا والشعب الصابر رغم جراح خناجر الأخوة المتقاعسين والمتواطئين والبائعين...
سوريا في كل ضيقة ألمّت ببلد عربي كانت السبّاقة لمد اليد، وسوريا هبت لنجدة كل بلد عربي محتاج، وأرسلت ألوف المعلمين إلى الأقطار التي تحتاجهم، فقد كان نشر اللغة العربية، نشر النور في بلاد العرب رسالة تقترن بالعلم...
سوريا من قلبها، من دمشق النابضة بدم العروبة، من ارتفع صوتها عندما قصفت طائرات العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ إذاعة القاهرة وصوت العرب: هنا القاهرة من دمشق، وهكذا ارتفع صوت مصر المقاوم للعدوان رغم أنوف المعتدين الإنكليز والفرنسيين والصهاينة...
سوريا ترفع راية فلسطين منذ زمن بعيد، منذ زمن صلاح الدين الأيوبي، وهي مع مصر، حرّرتا بلاد العرب واجتثت جيوشهما الغزاة من بلاد العرب، وأنقذت القدس.. ولن تطبّع مهما اشتد عليها التآمر والحصار، وستظل فلسطين هي سوريا الجنوبية والتي قاد ثوراتها أبطال وفدوا من جبلة وحماه ودمشق واستشهدوا على ثرى فلسطين، وستبقى فلسطين سوريا الجنوبية حتى تحريرها وما بعد تحريرها...
لا تنتظر فلسطين، سوريا الجنوبية، وسوريا العروبة أي خير حقيقي ممن يُطبّعون مع الكيان الصهيوني، ويتفرجون على جرائم الصهاينة في فلسطين، وفي قلب القدس مقدسات العرب والمسلمين في القدس والخليل وبيت لحم...
هبّ لنجدة سوريا شعب العراق، وإيران الإسلامية، والجزائر الحرّة سيدة قرارها، وحزب الله.. وعرب أحرار شرفاء في الأردن وفلسطين، رفعوا أصواتهم مطالبين بإسقاط قيصر وتحديه مهما تكن التكلفة.
لقد ثبت إن بلداناً كفنزويلا وماليزيا وصربيا هي أصدق في مشاعرها ممن يدّعون العروبة، ولا عروبة في مواقفهم!
من يملكون المليارات ويتفرجون على شعب سوريا المحتاج الذي لا يمد اليد، غير مقبول منهم الادعاء بأنهم يقفون موقفاً إنسانياً–أي شفقة-لأنّ شعب سوريا العربي الأنوف ذا الكبرياء والعراقة لا يرضى بأن يكون في موقع الشفقة.. فأرض سوريا أطعمت شعوباً عربية، وقطنها كسا شعوباً عربية عندما عريت.. وبردى أروى الظامئين.. ويا سوريا الحبيبة مرّ الكثير وبقي القليل وأيّام عزّك لن يطول انتظارها.

سوريا في كل ضيقة ألمت ببلد عربي كانت السبّاقة لمد اليد، وسوريا هبت لنجدة كل بلد عربي محتاج، وأرسلت ألوف المعلمين إلى الأقطار التي تحتاجهم

● التحليل الإخباري

الزلزال يضرب حظوظ أردوغان الإنتخابية!

موقع الخنادق

يقف الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أمام تحديات سياسية واقتصادية عمّقتها الأضرار والأزمات التي تسبب بها الزلزال الأخير الذي ضرب تركيا. فأردوغان الذي يتحضّر لجولة رئاسية جديدة بعد حوالي شهرين، يتعرض لانتقادات دولية أعادت إلى الواجهة التوتر بين أنقرة وباريس على وجه التحديد.
في تشرين الأول/ أكتوبر عام ٢٠٢٠، وصلت العلاقات بين كل من فرنسا وتركيا إلى مستويات غير مسبوقة من التوتر في خضم الحرب الكلامية بين زعيمي البلدين. فبينما نصح اردوغان نظيره بـ"فحص صحته العقلية"، رد ماكرون على سؤال صحفي بلزوم "تحلّي اردوغان بالاحترام".
اليوم، يُعدّ الزلزال فرصة سانحة لتجديد الهجمات ضد أنقرة. حيث شنّت صحيفة "لوموند" الفرنسية في افتتاحيتها بعنوان "وقت المحاسبة... الحساب للرئيس أردوغان". وقالت في تقريرها ان أردوغان، يعلم أكثر من أي شخص بأن الكوارث الطبيعية يمكن أن تكلف السياسيين ثمناً باهظاً، وإلى أي مدى يمكن لهذه الكارثة أو تلك، أن تكون بمثابة كاشفة للأخطاء وعمليات الفساد التي تضعف البلد المعني وتكشف عيوبه عند وقوعها.
هذا الشرخ الممزوج بالشعور بالتخلي أو الهجر والمتبوع بأزمة اقتصادية خطيرة، كان بمثابة نقطة انطلاق لأردوغان، الذي أنشأ، بالارتكاز على مهمته الناجحة كرئيس لبلدية إسطنبول، حزب العدالة والتنمية، ووعد بالتغيير وبوجود مخزون سكني قوي متاح للجميع. فاز في انتخابات عام ٢٠٠٢، قبل أن يتم تعيينه رئيسًا للوزراء في العام التالي. ولم يترك السلطة منذ ذلك الحين.
وتقول "لوموند" أن أردوغان على موعد، بعد حوالي شهرين، مع أصعب انتخابات في حياته المهنية الطويلة. ورغم صعوبات تنظيم الاقتراع في عشر مقاطعات تضررت من الزلزال الأخير الذي أودى بحياة نحو ٤٤ ألف شخص، إلا أنه حافظ على موعدها. فمن الناحية الدستورية، ليس باستطاعته تأجيل الانتخابات الرئاسية والتشريعية إلى ما بعد يوم ١٨ حزيران/ يونيو المقبل. لكن قد نتصور أن الرئيس التركي له مصلحة كاملة في عدم انتظار الناخبين لقياس مسؤولية السلطات العامة في حجم الكارثة.
وتساءلت "لوموند" إلى أي مدى سيكون الرئيس التركي قادرًا، بعد هذه الكارثة، على إخفاء الأثر الضار لحكمه، الذي دام عشرين عامًا، على مؤسسات البلاد، الموكلة إلى أصدقاء تم اختيارهم لولائهم أكثر من كفاءتهم؟. من الواضح اليوم أنه لا خدمات الطوارئ والإنقاذ العامة ولا الجيش أنجزوا مهامهم في الأيام الأولى التي أعقبت الزلزال. كما أن هناك تساؤلات حول هشاشة الإنشاءات، وعن البنايات مثل البيوت المصنوعة من الورق، فيما قاومت المباني الأخرى الأكثر صلابة. وتوضح الصحيفة، أنه بعد مرور ٢٥ عامًا على زلزال إزميت، استنكر الخبراء مرة أخرى افتقار السلطات إلى الترقب، وفساد مطوري العقارات وتواطؤهم مع المسؤولين الكبار في الدولة التركية: العلاقات الوثيقة بين حزب العدالة والتنمية وقطاع البناء والأشغال العامة ليست سراً بالنسبة لأي أحد.